البنية والدلالة لشجرة الَّزقُوم في القرآن الكريم

الباحث الأول/أ.د.خديجة زبار الحمداني
جامعة بغداد /كلية التربية للبنات/العراق
الباحث الثاني/أ.د.محمد ضياء الدين خليل إبراهيم
كلية الإمام الأعظم الجامعة/العراق

Khadija0zabar@yahoo.com

mohammad_80d@yahoo.com

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

البنية والدلالة لشجرة الَّزقُوم في القرآن الكريم

الباحث الأول/أ.د.خديجة زبار الحمداني[1] الباحث الثاني/أ.د.محمد ضياء الدين خليل إبراهيم[2]
جامعة بغداد /كلية التربية للبنات/العراق كلية الإمام الأعظم الجامعة/العراق
DR.KHADEEJA ZABAR ONAIZAN DR.MOHAMED ZIAUDIN KHALEL IBRAHIM
Khadija0zabar@yahoo.com mohammad_80d@yahoo.com

محور البحث/الدراسات اللغوية والنحوية

ملخص البحث

البنية والدلالة لشجرة الزَّقُوم في القرآن الكريم

يهدف البحث إلى تقصي لفظة(شجرة الزّقُوم)وما اشتق منها، ودلالتها في القرآن الكريم عن طريق ما كتبه المفسرون وربطها بالقوانين الصرفية، وبالاستعانة بمعجم لسان العرب في تقصي الكثير ما دار حول هذه اللفظة.
ويسعى البحث إلى الإجابة عن: ما الأصل الاشتقاقي للفظة(الزقوم)، وما بنيتها الصرفية، وعدد مرات وردها في القرآن الكريم، وما الدلالات التي اشتملت عليها.
تم اتباع المنهج التحليلي في بيان أصل هذه اللفظة وأصل اشتقاقها، ثم تحليلها بما ورد في االقرآن الكريم وما الدلالات التي انطوت عليها فيه.
أدوات البحث التي تم الاعتماد عليها هي القيام بتحليل هذه اللفظة ثم الموزانة بين ما ورد في معطيات الدرس اللغوي وبين ما ورد في كتاب الله تعالى القرآن الكريم.
انتظم البحث في فقرتين أساسيتين، هما: الأول: المجال الصرفي للتعرف على أصل لفظة (الزَّقُوم)، وثانيا: المجال الدلالي لتبيان معاني هذه الشجرة في القرآن الكريم .

The structure and significance of the Zaqqum tree in the Holy Quran

Research Summary

The research aims to investigate the word (Zaqqum tree) and what was derived from it, and its significance in the Holy Qur'an through what was written by commentators and linked to morphological laws, and with the help of the lexicon of Lisan al-Arab in investigating a lot of what happened around this word.
The research seeks to answer: what is the etymological origin of the word (Zaqqum), what is its morphological structure, how many times it is mentioned in the Holy Qur'an, and what connotations it contains.
The analytical approach was followed in explaining the origin of this word and the origin of its derivation, and then analyzing it with what was mentioned in the Holy Qur'an and what connotations it implied.

---

[1] الباحث الأول/أ.د.خديجة زبار الحمداني، أستاذة اللغة والنحو في كلية التربية للبنات/جامعة بغداد / العراق، لها بحوث علمية منشورة في مجلات علمية محكَّمة، ولها نشاطات علمية ومشاركات في المؤتمرات العلمية والندوات، أشرفت على العديد من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه.

[2] الباحث الثاني/أ.د.محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، أستاذ اللغة والنحو في كلية الإمام الأعظم(رحمه الله)/الجامعة/ العراق، له بحوث علمية منشورة في مجلات علمية محكَّمة، وله عضوية في لجان المؤتمرات العلمية، وله نشاطات علمية ومشاركات في المؤتمرات العلمية والندوات، أشرف على العديد من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه.

The research tools that have been relied upon are to analyze this word and then balance between what is mentioned in the data of the linguistic lesson and what is mentioned in the book of God Almighty, the Holy Qur'an.

The research was organized in two basic paragraphs, namely: the first: the morphological field to identify the origin of the word (Zaqqum), and second: the semantic field to clarify the meanings of this tree in the Holy Qur'an.

المقدمة:

ميز القرآن الكريم عن بقية الكتب السماوية بكثرة الإشارات العلمية فيه، ثم صحة كل هذه الإشارات فهو كتاب الله الحق الذي لم يقع فيه تحريف ولا تبديل ولا يصطدم مع العلم الحق عن صنع الله(عزَّ وجلَّ).

أهداف البحث:

يهدف البحث المتواضع إلى تقصي لفظة(شجرة الزّقُوم)وما اشتق منها، ودلالتها في القرآن الكريم عن طريق ما كتبه المفسرون وربطها بالقوانين الصرفية، وبالاستعانة بمعجم لسان العرب في تقصي الكثير ما دار حول هذه اللفظة.

الأسئلة التي يجيب عنها البحث:

ما الأصل الاشتقاقي للفظة(الزقوم)، وما بنيتها الصرفية، وعدد مرات وردها في القرآن الكريم، وما الدلالات التي اشتملت عليها.

منهج البحث:

تم اتباع المنهج التحليلي في بيان أصل هذه اللفظة وأصل اشتقاقها، ثم تحليلها بما ورد في القرآن الكريم وما الدلالات التي انطوت عليها فيه.

أدوات البحث:

أدوات البحث التي تم الاعتماد عليها هي القيام بتحليل هذه اللفظة ثم الموزانة بين ما ورد في معطيات الدرس اللغوي وبين ما ورد في كتاب الله تعالى القرآن الكريم.

كيفية تحليل النتائج:

انتظم البحث في فقرتين أساسيتين، هما: الأول: المجال الصرفي للتعرف على أصل لفظة (الزَّقُوم)، وثانيا: المجال الدلالي لتبيان معاني هذه الشجرة في القرآن الكريم .

الخلاصة والتوصيات:

نخلص إلى أنَّ إشارات القرآن الكريم عن شجرة الزَّقُّوم كانت ذات مستوى دلالي منظم بدءاً بالأصوات المكونة لها ومروراً ببنيتها الصرفية وانتهاءً بأسباب استعمال هذه اللفظة من دون غيرها، فهنا يكمن سر الإعجاز القرآني في دقة استعمال الألفاظ واتساقها في العبارات وتناسبها مع المواقف الذي ترد به تلك الألفاظ.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد البر الأمين، وعلى آله الغُر الميامين وصحابته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فقد تميز القرآن الكريم عن بقية الكتب السماوية بكثرة الإشارات العلمية فيه، ثم صحة كل هذه الإشارات فهو كتاب الله الحق الذي لم يقع فيه تحريف، ثم هو لا يصطدم مع العلم الحق الذي هو صنع الله(عزَّ وجلَّ).

وقد شكلت الطبيعة جانباً مهماً في النص القرآني لوضوح دلالتها وسهولة التفسير بها، ولقربها من الواقع الإنساني، فاقتضت الحكمة الإلهية الاستعانة بها عند الخطاب، فلا يخفى علينا أنَّ الإنسان في كل وقت به حاجة الى المدلول الحسي لقربه من الإدراك والتصور، إذ وردت أكثر من مئة إشارة لعالم الطبيعة ولاسيَّما النبات في القرآن الكريم تدعو الى الانتباه والتفكر فيها.

فلذا حاولنا في هذا البحث المقتضب أن نقف على إشارات القرآن الكريم لشجرة خاصة هي(شجرة الزَّقُوم)مستصحبين بعض ما توصل إليه اللغويون والمفسرون في هذا المجال، لنخلص إلى شيء من الدقة والحكمة في هذه الاشارة الى هذه الشجرة.

وما دام القرآن من عند الله تبقى إشارته للطبيعة حقاً مطلقاً وعلماً يقيناً وكل ما يحتاجه المسلمون هو سبر أغوار هذه الآيات والتعمق في النظر والتأمل والبحث العلمي فتكتشف لهم العلوم بإذن الله.

فقد حاولنا في هذا البحث المتواضع أن نستقصي لفظة(شجرة الزّقُوم) وما اشتق منها، ودلالتها في القرآن الكريم عن طريق ما كتبه المفسرون وربطها بالقوانين الصرفية، وبالاستعانة بمعجم لسان العرب في تقصي الكثير ما دار حول هذه اللفظة.

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يكون على مجالين: الأول: المجال الصرفي للتعرف على أصل لفظة(الزَّقُوم)، والثاني: المجال الدلالي لتبيان معاني هذه الشجرة في القرآن الكريم.

أ. الدراسة الصرفية :

لقد ورد ذكرُ شجرة الزَّقُوم في القرآن الكريم ثلاث مرات وفي سور مختلفة وهي على النحو الآتي :

1. قوله تعالى { أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُوم *** طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُوس الشَّياطين}[1].
2. قوله تعالى { ثُمَّ إِنَّكمْ أَيُّها الضَّالون المُكَذِّبُون * لَآكِلُون مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُّومٍ}[2].
3. قوله تعالى : { ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونُ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ}[3]

مما لاشك فيه أنَّ كلمة "الزَّقُوم" من أبنية الأسماء، وهو من الأبنية التي استدركت على سيبويه وزيدت "الواو" رابعة فيها " وزيدت الواو رابعة في الأبنية الآتية:((فَعَّلَوُه: نحو ترقوة، قرنوة، وعرقوه وهي أسماء، والهاء لازمة لهذا البناء ولم يرد صفة.

فُعَّلَوة: نحو الخنذوة والعنصوة وهما اسمان ...

---

[1] سورة الصافات: 62- 65.
[2] سورة الدخان: 42- 43.
[3] سورة الواقعة: 52- 53.

فَعُّول: من الأسماء سفود وكلوب ... ومن الصفات سبوح وقدوس ....))[1].

وهو من الأبنية التي استدركها أبو بكر الزبيدي على أبنية كتاب سيبويه إذ قال أبو بكر: الواو تلحق عشرين بناء((... وعلى فَعُّول، فالاسم سَفُّود وكلوب، والصفة سبوح وقدوس ...))[2].

وقال ابن عصفور:((...وعلى فَعول ويكون فيهما فالاسم نحو:"سَفُّود" وكَعَّرب"، والصفة نحو: "سَبُّوح " وكَلُّوب))[3].

قال أبو حيان:((... وفَعُّول: اسماً سَفُّود وصفة سبَّوح ...))[4].

نلحظ من أقوال العلماء أنَّ(فَعُّول)من الأبنية الصرفية التي الحقت الواو فيها وهو بناء مشترك بين الأسماء والصفات وقد جاءت كلمة(زَقُّوم)على هذا الوزن، وهي من الأسماء في الكلام.

فالزَقُّوم هي اسم ذات والعرب تشتق من اسم الذات؛ لأنَّ اسم الذات الاشتقاق منه قضية لا يمكن البت بحقيقتها ما لم تتوافر الشروط الكفيلة لإثباتها. ويمكننا مُدارسة هذه القضية وذلك على أسس منها منطقية ومنها تأريخية ومنها دلالية.

فالمنطقية تتلخص: في كون المنطق يقتضي أن يكون أول الألفاظ التي تداولها العرب في حياتهم هي أسماء الأشياء الملموسة المرئية – الخيام –الحيوان – السماء – الأرض... وغير ذلك ثم يتم الاشتقاق منها.

ولأنَّ أسماء الأشياء الملموسة أقرب إلى واقع اللغة عند النشأة، فعند ذلك يحصل تسخير لهذه الأشياء لخدمة اللغة لأنَّها سبيل التواصل وذلك عن طريق خاصية الاشتقاق.

أمَّا الأسس التاريخية: فلا بُدّ هنا أن نعرج إلى معرفة الموقف اللغوي القديم فيما يتعلق بهذه القضية؛ ونعرض آراء العلماء القدامى مِمَّا يسند مذهب الاشتقاق من اسم العين.

فلإمام النحاة سيبويه رأيّ فيه تصريح على الاشتقاق من أسماء الذوات ما كانت رباعية فعلاً على هيئتها، فقال :((فالحروف من بنات الأربعة على مثال فَعْلَلٍ، فيكون في الأسماء والصفات ، فالأسماء نحو: جَعْفَرٍ، وعنْبرٍ، وجَندَلٍ، والصفة سَهْلبٌ، خَلْجمٌ، وشَجْعَمٌ. وما ألحقوا به من بنات الثلاثة حَوْقَلٌ، وزَيْنَبٌ، وجَدْولٌ، ومَهْدَدٌ، وعَلْقىً ورَعْشَنٌ، وسَنْبتَةٌ، وعَنْسَلٌ، وهذا النحو؛ لأنك لو صيَّرتهنَّ فِعْلاً كُنّ بمنزلة الأربعة. فهذا دليلٌ ألا ترى أنك حيث قلت، حَوْقَلْتُ، وبَيْطَرْتُ ، وسَلقَيْتُ، أجريتُهن مَجْرَى الأربعة))[5].

ودليل آخر أشار إليه ابن السراج، قائلاً:((واعلم أنّه متى تجاذب لفظاً واحداً جنسان، فكان أحدُ الجنسين جسماً، والآخر عرضاً، فالأولى أن تجعل الأصل الجسم...لأنَّ العرب قد تشتق أفعالاً من

1() أبنية الصرف في كتاب سيبويه: 185.
2() كتاب الأسماء والأفعال والحروف(أبنية كتاب سيبويه): 228.
3() الممتع في التصريف: 99/1.
4() ارتشاف الضرب: 90/1.
5() الكتاب: 4/ 288.

أسماء غير مصادر، نحو قولهم: استحجر الطين، واستلحموا وإنَّما ذلك مأخوذ من اللحم، والحجر. وكذلك استنوق الجمل وترجّلت المرأة، وهذا أكثر من أن أحصيه لك))[1].

وكلام ابن السراج صريح في هذه المسألة فقد رجح(اسم العين)أو(الجسم)كما سماه – على(اسم المعنى) أو(العرض)في إثبات الأصل، ثم ساق أمثلة تَمَّ فيها اشتقاق الأفعال من غير المصادر(أسماء الأعيان منها خاصة)،ورأيه في ذلك أن الاشتقاق الحاصل من(أسماء الأعيان)أكثر من أن يحصى، فهو كثير وواسع، وهذا تصريح على أنَّ العلماء يدركون حقيقة هذا النوع من الاشتقاق، فهو حاصل في لغة العرب لا يمكن إنكاره.

وقال ابن جني:((وأيضاً فإنَّ المصدر مشتقٌ من الجوهر، كالنبات من النبت وكالاستحجار من الحجر، وكلاهما اسم))[2].وفي موضع آخر من كتابه قال:((إنّا قد أحطنا علماً بأن الفعل إنمّا يشتق من الحدث لا من الجوهر)) [3] .

من النصين اللذين ذكرهما ابن جني، يمكن لنا القول إنَّ الجوهر أصل الاشتقاق وذلك:

1. أنَّ ابن جني وكما هو معروف، بصري النزعة والمعلوم أيضاً أنَّ المذهب البصري يجعل المصدر أصلاً للاشتقاق هذا من جهة، ومن جهة أخرى ينبغي أن يكون(الأصل)مشتقاً منه وليس مشتقاً. والذي حصل أنَّ المصدر وهو أصلٌ عند ابن جني والذاهبين مذهب مدرسة البصرة ، قد اشتق من شيءٍ أبسط منه هو الجوهر. فهنا حصل اضطراب وعدم ثبات في الأصل الاشتقاقي.
2. لا يمكن البت بحقيقة اشتقاق الفعل من المصدر أو العكس؛ لأنّ المصدر وإن كان اسماً والأسماء أسبق من الأفعال إلَّا أنَّ قيد الحدثية(كونه حدثا)قَرّبه من الفعل أكثر من الاسم في حين أنَّ(اسم العين)اسمٌ تام الدلالة ، وهو على هذا أرجح لأن يكون أصلاً أكثر من غيره.

أمَّا الأفعال عند موازنتها مع المصادر فإنّ من الأفعال ما يمكن ردّه إلى المصدر لأنَّ المصدر أسبق، فعندما نقول:(النوم)هو أسبق من فعله نام، وعندما نقول:(الحذر)فهو اسبق من فعله حذر، وهلم جرا لأنَّ التصورات الذهنية أسبق من الردود العلمية أو الفعلية.

ومن ناحية أخرى هناك من الأفعال ما وُجِد لها أكثر من مصدر، والمعقول أن يكون الواحد أصلاً للمتعدد وليس العكس، ومثال ذلك الفعل(لقي)[4]، فقد وردت له عشرة مصادر أو يزيد، وهي: لقاء، ولقاءة، ولقى، ولَقْياً، ولِقيّا، ولَقيّاً، ولقَيْةً، ولقْيَاناً، ولُقْيَاناً، ولُقْيَانة.

ويقول د. محمد خير الحلواني:((...ففي كثير من المواضع تحس إحساساً كبيراً أنَّ الفعل سبق مصدره في الاشتقاق، وأنَّ المصدر بنى على الفعل، من ذلك الفعل: استحجر مشتق من الاسم

1( ) الاشتقاق: ابن السراج: 36.
2( ) الخصائص: 2/ 34.
3( ) المصدر نفسه: 1/ 119.
4( ) ينظر: المزهر: 2/ 83.

المحسوس ثم ظهر مصدره: (الاستحجار) في مرحلة زمنية تالية له، وعلى هذا يكون المصدر نفسه مأخوذاً على قياس أمثاله، كالاستغفار، والاستفسار، والاستعظام ...))[1].

وما ذهب إليه د. محمد الحلواني يمكن قبوله لا على أساس الإحساس، لكن على أساس ما سمع من العرب النصوص اللغوية الصريحة التي سنذكرها، مثل : من الحجر - استحجر – استحجاراً، ومن الذراع – تذَرعَ – تذريعاً... وهكذا.

ومنتهى القول فيما ذكره ابن جني أنَّ المصادر وهي أصل عند جمهور البصريين مشتقة من أسماء الأعيان، فيما يتعلق منها بذلك الاسم.

وقال ابن مالك(ت672هـ):((انفراد الرباعيّ(بَفْعلل)لازماً ومتعدياً لمعانٍ كثيرة، وقد يصاغ من اسمٍ رباعي بمسماه أو لمحاكاته أو لجعله في شيء أو لإصابته أو لإصابة به أو لإظهاره، وقد يصاغ من مُركب لاختصار حكايتهِ))[2].

وهذا القول موافقٌ لما ذكره سيبويه في صياغة فعلٍ رباعيٍّ من اسمٍ رباعي، وهذا الاسم هو(اسم العين).

ولا يختلف أبو حيان الأندلسي(ت745هـ)في اشتقاق أفعالٍ رباعيةٍ من أسماء رباعية مثلما ذهب إليه سيبويه وابن مالك، قال:((وقد يصاغ [الفعل الرباعي المجرد]من اسم رباعي يعمل بمسمى نحو: قرمس حفر القرموس، ومِمَّا كأنَّه عَقْرَب الشيء لواه كالعقرب، أو لجعله في شيء عصفر الثوب أو لإصابته عرقبه، أو إصابة به عرجنه أصابه بعرجون، أو إظهاره عسجلت الشجرة أخرجت عساليجها، ولاختصار حكايته بسمل))[3].

أمَّا المحدثون فيكاد يكون رأي عبد الله أمين أقدم إشارة في جانب الاشتقاق من أسماء الأعيان، من خلال بحثٍ عرضه على المجمع الملكي في القاهرة[4].وقد حوى البحث على أفكارٍ أولية عن هذا الموضوع، ثم طوّر هذه الأفكار وبشكل أكثر تفصيلاً في كتابه(الاشتقاق)والذي يُعد من الكتب الصرفية المهمة، فله آراء تستحق الوقوف عندها لما تحمله من افكارٍ ناضجة تخدم اللغة.

قال عبد الله أمين:((إنّ أصل المشتقات جميعاً شيء آخر لا هو المصدر ولا هو الفعل، وأنَّ الفعل مقدم على المصدر، وعلى جميع المشتقات في النشأة، وأنّ هذه المشتقات جميعاً، ومعها المصدر، مشتقة من الفعل، بعد اشتقاق الفعل من أصل المشتقات وهي أسماء المعاني من غير المصادر، وأسماء الأعيان، والأصوات))[5].

---

01 الواضح في علم الصرف: 155- 156.
02 تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: 198.
03 ارتشاف الضرب: 1/ 87.
04 ينظر: مجلة المجمع الملكي في القاهرة سنة 1934، وفيه بحث عن(علم الاشتقاق): 381- 393 وفيه إشارة أولى عن هذا الجانب، وهنالك بحث آخر لعبد الله أمين تحت عنوان(الطرق التي سلكها العرب عند اشتقاقهم من أسماء الأعيان): 328- 345 في المجلة ذاتها ولكن لسنة 1937.
05 الاشتقاق، عبد الله أمين: 14.

فرأيه أنّ الفعل مقدمٌ على المصدر من الناحية الزمنية، وعليه يكون المصدر واحداً من المشتقات مأخوذة من الفعل، وهذا الفعل مشتق من شيءٍ آخر إمّا من(أسماء الأعيان)أو اسماء المعاني من غير المصادر – وقد عنى العدد واسماء الأزمنة – أو الأصوات، وقد أرسل القول في كلّ واحدٍ منها، وقد فَصّل الحديث في الاشتقاق الحاصل من أسماء الأعيان وأولاه عنايةً، واستند في ذلك على ما جاء في المعجم العربي من نصوص لغويةٍ فصيحةٍ تؤيد مذهبهُ.

والاشتقاق عنده حاصلٌ إمّا من أسماء المعاني غير المصادر أو أسماء الأعيان؛ وذلك لأنَّه حاصلٌ عند ارتقاء اللغة، أما قبل ذلك – أيام نشأتها الأولى – فالاشتقاق – عنده – من الأصوات[1].

وما يهمنا الاشتقاق الحاصل عند ارتقاء اللغة، على أساس أنَّها لغةٌ ناضجة واضحة المعالم يمكن دراستها وإبراز سماتها.

ويعلل عبد الله أمين ما ذهب اليه من أصالة الاشتقاق من(اسم العين)؛ إذ إنَّها يمكن((أن تكون أسماء الأعيان مأخوذة من غيرها كالمصادر والأفعال، إذ ليس لها موازين معيّنة، ولا طرق في الاشتقاق معبّدة يمكن أن توضع لها أقيسة مطردةٌ كالأسماء التي تؤخذ من غيرها عادة، ومنها المصادر نفسها، وإنَّما الممكن أن يكون غيرها من المشتقات والأفعال، والمصادر، قد أُخذ منها؛ إذ لكلّ منها موازين معيّنة وطرق في الأخذ مطّردة))[2].

وذكر حجته القوية بأنّ العرب قد عَرّبوا أسماءً أعجمية ثم اشتقوا منها مصادر وأفعال ومشتقات، وقال:((إذ لا يعقل أن تكون العرب قد اشتقوا كل ذلك من مواد الأسماء الأعجمية قبل أن يعربوها، ولمَّا كان تعريب الاسم سابقاً بطبعه اشتقاق الأفعال والمصادر والمشتقات منه، دلّ ذلك دلالةً قطعيةً على أنَّ العرب اشتقوا من أسماء الأعيان وعلى أنهم إذا عَرَّبوا اسماً صبغوه بصبغة العربية، ومنها الاشتقاق))[3].

وذكر طائفةً من المفردات الأعجمية التي عرّبتها العرب، واشتقت منها اشتقاقاً صريحاً، قال:((...وعرَّبوا الفلفل ثم اشتقوا منه في ل[عنى لسان العرب]: والفُلفل بالضم معروف لا ينبت بأرض العرب. وقد كثر مجيئه في كلامهم، وأصل الكلمة فارسيّة. وقد فَلْفَل الطعام والشراب. وثوب مُفَلْفَل: إذا كانت دارات وشيه تحكى استدارة الفُلْفُل وصغرهُ... وعَرّبوا البرنس ثم اشتقوا منه. ففي ل: البُرْنُسُ كل ثوب رأسه مُلْتَزِق به دُرَّاعة كان، أو ممطراً، أو جبَّة...وقد تبرنسَ الرجلُ: إذا لبسه قال وهو من البرْس بكسر الباء القُطن والنون زائدة وقيل إنَّه غير عربي... السبجة: والسبيجة: كساءٌ، أسود والسبيجة القميص فارسيّ مُعرّب وتسبّيج – بها: لبسها – ل)) [4].

---

[1] ينظر: الاشتقاق(عبد الله أمين): 125.
[2] الاشتقاق: 147.
[3] المصدر نفسه: 148.
[4] المصدر نفسه: 151- 152.

نرى أنّ عبد الله أمين قد استعان بالمعجم العربي في بناء رأيه ودعمه عن طريق النصوص اللغوية الكثيرة التي أوردها على وفق ترتيب معين[1].

فالعرب اشتقت من اسم الذات الكثير من الأبنية اللغوية، والذي دفعنا إلى هذا الكلام أنَّ شجرة "الزَّقُّوم" اسم ذات وقد اشتقت منها العرب عدداً من الأبنية.

جاء في اللسان: زقم : الأزهري: الزَّقْم الفعل من الزَّقُّوم، والازْدقام كالابتلاع. ابن سيده: ازْدَقَم الشيءَ ونَزَقّمه ابتعله. والتَّزَقُّم: التَّلَقُّم. قال أبو عمرو الزَّقْم واللَّقم واحد ، والفعل زَقَم يَزْقُمُ ولَقِمَ يَلْقَمُ. والتَّزَقُّمُ : كثرة شرب اللبن، والاسم الزَّقَم، ابن دريد: يقال تَزَقَّم فلان اللبن إذا أفرط في شربه . وهو يَزْقُمُ اللَّقَمَ زَقْماً أي يَلْقَمُها. وزَقَمَ اللحم زَقْماً بلعه. وأزْقَمَتُه الشيء، أي: أبلعته إياه[2].

أي: أنَّ العرب اشتقت من(الزقوم)الأبنية الآتية:

1. المصدر (الزَّقْم) على زنة (فَعْل).
2. الفعل المزيد (ازدقم) على زنة (افتعل) ومصدر الازدقام .
3. الفعل المزيد (تَزَقَّم)، ومصدره (التَزقم) .
4. الفعل المزيد(أزْقَم) على زنة (أفْعَل).
5. الفعل الثلاثي المجرد ومضارعه (زَقَمَ – يَزْقَمُ) على زنة (فَعْل- يَفْعَل) .

ب. الدراسة الدلالية :

بدأ الدارسون للغة العربية والمعنيون بها على النظر في المعنى ملياً ووضع التفسيرات لمجمل الظواهر اللغوية ، وهذا يكون بدافع حبهم للغة القرآن الكريم وخدمة لهذا التوجه، وبحثاً في قوانينه التي تكشف أسراره وتحديداً الوظائف التي يرونها منوطة به، والأهداف التي يتوخونها منها ومن دراسته علماً محضاً يرتكز على مستويات اللغة كافة، وهي تتبادل الأدوار في أثناء الأداء اللغوي، إذ إنّ اللغة لا تقوم بغير المستوى الدلالي الذي يُعنى بالعلاقة بين الكلمة ودلالتها[3].

إنَّ علاقة اللفظ بمعناه لقيت صدى كبيراً بين الدراسات القديمة والحديثة على حد سواء وهذا ما يتعلق بعلم الدلالة، إذ لا تتحقق الدلالة في الكلام ما لم يكن هناك ترابطٌ متحققٌ ما بين اللفظ والمعنى الذي يؤديه ولا يمكن لنا الفصل بينهما. من هنا فإنَّ(شجرة الزَّقُّوم)كما ذكرنا سابقاً جاءت في ثلاث آياتٍ، وهي في هذه الآيات الثلاثة حملت وصفاً لطعام أهل النار، زيادة على ذلك أنَّها ردٌّ على محاولة أبي جهل الباطلة عندما أراد أنْ يغرر بالمؤمنين ويردهم عن دينهم بقوله إنَ(الزقُّوم)هو طعام لذيذ يتكون من(زبد وتمر)، قال الطبري:((...قال أبو جهل لما نزلت(شجرة الزَّقُّوم) قال: تعرفونها في كلام العرب، أنا آتيكم بها فدعا جارية فقال: ائتني بتمر وزبد فقال دونكم تزقموا، فهذا الزّقُّوم الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها:{أذلك خير نزلاً أم شجرة الزَّقُّوم إنا جعلناه فتنة للظالمين...}[4]،نلاحظ أنَّ أسباب نزول الآية الكريمة أبانت أنها ردٌّ على

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 23- 124.
[2] لسان العرب: مادة (رقم).
[3] ينظر: اللغة العربية نظامها وآدابها وقضاياها المعاصرة: 10، ودور الكلمة في اللغة: 80.
[4] تفسير الطبري: 41/23.

أبي جهل عندما حاول إغراء المؤمنين، وبعد ذلك فإنَّ الله(سبحانه وتعالى)قد وصفها بقوله: "طلعها كرؤوس الشياطين"، وإنَّها تنبت في الجحيم، قال الزمخشري:((...إنَّهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر...قيل منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها والطلع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقزم من حملها، أمَّا استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر، لأنَّ الشيطان مكروه، مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنَّه شر محض لا يخلطه خير ...))[1].

لقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الشجرة وصفاً دقيقاً جزاءً للكافرين ترهيباً وتخويفاً غير أنَّ مشاهد يوم القيامة تختلف عن مشاهد الدنيا إذ لا وجود حقيقي لهذه الشجرة في الدنيا سوى في الآخرة وقد تكون أقبح من هذه الصورة والله أعلم.

وقد ذكر أبو حنيفة الدينوري شيئاً عن هذه الشجرة، إذ قال:((...أخبرني أعرابي من أزد السراة قال: الزقُّوم شجرة غبراء صغيرة الورق مدوّرتها لا شوك لها، ذفرة مرة، لها كعابر في سوقها كثيرة ولها وريد ضعيف جداً يجرسه النحل، ونورتها بيضاء، ورأس ورقها قبيح جداً...))[2].

نلاحظ أنّ دلالةَ " الزَّقُّوم" في القرآن الكريم، شجرة تخرج من أصل الجحيم قبيحة المنظر تكون طعاماً للكافرين ، والزَّقُّوم كما ذكرنا على زنة " فَعُّول" من أبنية الأسماء القوية في الكلام وهذه القوة متأتية لها من تضعيف العين؛ لأنَّ التضعيف يكسب الصيغة قوة ومبالغة في الحدث، قال ابن جني:((ومن ذلك أيضاً قولهم: رجل جميل ووضيء، وإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا: وضّاء وجُمّال، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه ...و كأن أصل هذا إنَّما هو لتضعيف العين في نحو المثال قطّع وكسّر وبابهما وإنَّما جعلنا هذا هو الأصل لأنَّه مطَّرد في بابه أشد في اطراد باب الصفة، وذلك نحو قولك: قطع وقطّع، وقام الفرس وقوّمت الخيل ومات البعير وموّت الإبل، ولأنَّ العين قد تضعف في الاسم الذي ليس يوصف نحو قبّر وتمّر وحُمّر فعدل ذلك على سعة زيادة العين، فأمَّا قولهم خطّاف وإنْ كان اسماً فإنَّه لاحق بالصفة في إفادة معنى الكثرة ... وكذلك الزّمّل والزميل والزمّال ... إذ كررت عينه لقوة حاجته إلى أن يكون تابعاً وزميلاً))[3].

وذهب الرضي الاستربادي إلى أنَّ زيادة المبالغة في أي صيغة صرفية تكون في تشديد العين، فمثلاً(طوال) أبلغ من(طويل)وإذا أردنا زيادة في المبالغة شددت العين فنقول:(طوّال).

وإنَّ أي زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى؛ أي: أنّ الزيادة التي تطرأ على بُنى الكلمات ليست لغايةٍ مقصودة يُراد بها إما المبالغة أو التفخيم أو التأكيد... قال ابن جني:((فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ،ثم زيد فيها شيءٌ أوجبت القسمة له زيادة المعنى به))[4].

---

[1] تفسير الكشاف: 46/4.
[2] لسان العرب: مادة(زقم).
[3] الخصائص: 3/ 269- 270.
[4] ينظر: شرح الشافية: 2/ 136.

وفضلا عن ذلك فإنَّ التحليل الصوتي لـــ(لفظة الزقُّوم)يقودنا في الحكم إلى أنَّها ذات جرس موسيقي قوي وهذه القوَّة متأتية مِمَّا يحمله صوت الزاي والقاف من صفات، فصوت الزاي[1] صوتٌ صفيريٌّ يتمتع بصفة

الخاتمة:

وبذا نخلص إلى أنَّ إشارات القرآن الكريم عن شجرة الزَّقُّوم كانت ذات مستوى دلالي منظم بدءاً بالأصوات المكونة لها ومروراً ببنيتها الصرفية وانتهاءً بأسباب استعمال هذه اللفظة دون غيرها فهنا يكمن سر الإعجاز القرآني في دقة استعمال الألفاظ واتساقها في العبارات وتناسبها مع المواقف الذي ترد به تلك الألفاظ.

الجهر والجهر أشد من الهمس، وصوت القاف[2] المشددة التي تتمتع بصفة الشدة، فجرس هذه اللفظة القوي ملائم للوعيد والعقاب الإلهي. لذا فإنَّ دلالة الصوت قد أعطت دلالة أخرى مضافة لهذه اللفظة تتناسب مع قوة الموقف القرآني ووعيده للكافرين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، وتليه.

1. أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1965م.
2. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق: الدكتور رجب عثمان، مطبعة المدني، ط1، 1998م، القاهرة.
3. الاشتقاق، عبد الله أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ط1 ، 1956م.
4. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك ت(672ه)، تحقيق: محمد كامل بركات، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م.
5. تفسير الطبري، جعفر محمد بن جرير الطبري ت(310ه)، دار الفكر، بيروت، 1978م.
6. تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري ت(538ه)، الناشر دار المعرفة ، 2009، بيروت – لبنان .
7. دور الكلمة في اللغة، أولمن ستيفن ، ترجمة كمال بشر ، القاهرة ، 1963م.
8. الخصائص، لابن جني ت(392ه)، تحقيق محمد علي النجار، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط4، 1990م.
9. سر صناعة الإعراب، لابن جني ت(392ه)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، ط1 ، 1954م.
10. شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الاسترابادي ت(686ه)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1975م.
11. كتاب الاسماء والأفعال والحروف(أبنية كتاب سيبويه): لأبي بكر الزبيدي ت(379ه)، تحقيق: الدكتور أحمد راتب حموش، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ، 2002م.

---

[1] الخصائص: 3/ 271.

[2] سر صناعة الإعراب: 1/ 207.

12. كتاب سيبويه، لأبي بشر عثمان بن قنبر ت(180ه)، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م.
13. لسان العرب، لابن منظور ت(711ه)، دار صادر ، بيروت ، ط1، د.ت
14. اللغة العربية نظامها وآدابها وقضاياها المعاصرة، الدكتور محمد سمارة أبو عجمية، مطابع الدستور التجارية ، الأردن ، 1989م.
15. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي ت(911ه)، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك وآخرين، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت ، 1978م.
16. الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي ت(669ه)، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، حلب، 1970م.
17. الواضح في علم الصرف، الدكتور محمد خير الحلواني، دار المأمون للتراث، بيروت، ط4، 1987م

مجلة دراسات العلوم الاسلامية